الشريف المرتضى (ت، 436هـ/ 1044م) سيرته وأثره على الحركة العلمية في بغداد في العصر العباسي

م. فينوس ميثم علي
كلية التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية

Sharif Al-Murtada (436 AH / 1044 CE), his biography And its impact on the scientific movement in Baghdad in the Abbasid era

Lec. Venus Mitham Ali
College of Basic Education\ University of Mustansiryah

Abstract:

Al-Sharif Al-Mortadha Ali bin Al-Hussein Al-Musawi (355 e-436 e) scientist, speaker, poet and writer, almost combines the authors of his time to praise his memory and enjoyed by the majesty of the personality and the multiplicity of talent and fame and high standing among scholars of his time and the literature of his time and many of them that he was one of the imams of Muslims Fiqh, fundamentals, interpretation and theology. The most prominent of the Nabgh in Arabic science, criticism, literature and poetry novel and tell the Arabs and mentioned many of his works in these areas as they noted the Diwan poetry and contained a rich product, the research aims to study the biography of Sharif and its impact on the scientific movement in Baghdad, Search on five queries , The first includes the biography of his life and the second subject of his scientific development and the third topic: his scientific status and the fourth subject: his tendencies and beliefs and his advice and the fifth topic: the impact of Sharif Marta on the scientific movement in Baghdad and then the conclusion and sources and references.

Keywords: Al-Sharif Al-Mortada, Science, Baghdad, Abbasid era.

الملخص

الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (355هـ-436هـ/965م-1044م) عالم ومتكلم وشاعر وأديب يكاد يجمع مؤلفو عصره على الإشادة بذكره وما كان يتمتع به من جلال الشخصية وتعدد المواهب والشهرة وعلو المكانة بين علماء عصره وأدباء عصره وقد نص كثير منهم على انه كان من أئمة المسلمين في الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ومن ابرز من نبغ في علوم العربية والنقد والأدب ورواية الشعر وإخبار العرب وذكروا العديد من مؤلفاته في هذه المجالات كما نوهوا بديوان شعره وبما احتوى من نتاج ثري، يهدف البحث إلى دراسة سيرة الشريف المرتضى وأثره في الحركة العلمية في بغداد، ويحتوي البحث على خمس مباحث، كان الأول يتضمن سيرة حياته والمبحث الثاني نشأته العلمية و المبحث الثالث: مكانته العلمية و المبحث الرابع: ميوله ومعتقداته وإشعاره و المبحث الخامس: اثر الشريف المرتضى على الحركة العلمية في بغداد ثم الخاتمة والمصادر والمراجع

وتضمنت الخاتمة النقاط التالية:

1. أن مراحل حياة المرتضى وما مرت به هذه الشخصية من تطورات تجسد العناصر التي اشتركت في بناء شخصيته وتعكس الإبعاد التي بلغتها فظروفه العائلية ونشأته كانت حافزا للممارسة نشاطاته الفكرية المتميزة.
2. دلت مؤلفاته على تنوع خبراته واتساع معارفه وعلى تضلعه ليس في العلوم الإسلامية والعقائد فحسب بل وعلى تضلعه في الشعر والأدب أيضاً.
3. كان له تأثير كبير في تنشيط الحركة العلمية والفكرية في العراق وذلك من خلال مناظراته ومجالسه العلمية ومدرسته التي خرجت الكثير من العلماء والأدباء.

الكلمات المفتاحية: الشريف المرتضى، علم، بغداد، العصر العباسي.

المقدمة

الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (355هـ-436هـ) عالم ومتكلم وشاعر وأديب يكاد يجمع مؤلفو عصره على الإشادة بذكره وما كان يتمتع به من جلال الشخصية وتعدد المواهب والشهرة وعلو المكانة بين علماء عصره وأدباء عصره وقد نص كثير منهم على انه كان من أئمة المسلمين في الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ومن ابرز من نبغ في علوم العربية والنقد والأدب ورواية الشعر وإخبار العرب وذكروا العديد من مؤلفاته في هذه المجالات كما نوهوا بديوان شعره وبما احتوى من نتاج ثري، يهدف البحث إلى دراسة سيرة الشريف المرتضى وأثره في الحركة العلمية في بغداد، ويحتوي البحث على خمس مباحث، كان الأول يتضمن سيرة حياته والمبحث الثاني نشأته العلمية و المبحث الثالث: مكانته العلمية و المبحث الرابع: ميوله ومعتقداته وإشعاره و المبحث الخامس: أثر الشريف المرتضى على الحركة العلمية في بغداد ثم الخاتمة والمصادر والمراجع

المبحث الأول: سيرة حياته

1. اسمه ونسبه

الشريف الرضي ذو الحسبين . أبو الحسن محمّد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش بن محمّد الأعرج بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمّد الباقر بن الإمام عليّ السجّاد بن الإمام الحسين بن الإمام عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام)[1].

اما نسبه هو علي بن الشريف أبي أحمد الحسين نقيب الطالبيين بن موسى "الأبرش" بن محمد "الأعرج" بن موسى "أبي سبحة" بن إبراهيم "المرتضى" بن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام[2].

---

(1) ينظر ترجمته في المصادر التالية: الثعالبي، عبد الملك، النيسابوري أبو منصور(ت، 429 هـ/ 1037م)يتيمة الدهر، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قمحية، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)ج ٣، ص ١٥٥؛ النجاشي، أبو العباس احمد بن على بن احمد الاسدي الكوفى (450هـ/ 1058م)رجال النجاشي، تحقيق: الحجة السيد موسى الشبيرى الزنجانى الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم المشرفة، بلا) ص١٠٦٥؛ 1. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت، 463هـ/ 1070م)تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا)ج ٣، ص٤٠؛ ابن شهر آشوب، محمّد بن علي السروي المازندراني (588 هـ/1192م)معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين، (النجف الأشراف، د.ت) ج1، ص٥٨٩ ؛ 1ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج (ت، 597هـ/1200م)المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (حيدر آباد، الدكن، 1357هـ/ 1938م)ج ١٥، ص ١١٥ ؛ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت، : 646هـ/ 1248م)إنباه الرواة على أنباه النحاة، (بيروت، 1424هـ) ج ٣، ص ١١٤؛ ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم الجزري(ت، 630هـ/1232م)الكامل في التاريخ"، دار صادر، (بيروت، 1399هـ/ 1979 م)ج٩، ص ٢٦١؛ أبن خَلِّكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت، 681 هـ/1283م)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق، احسان عباس، دار صادر، (بيروت: 1972)ج ٤، ص ٤١٤ ؛ابن داوود الحلي (ت بعد سنة 707 هـ/1307م)رجال ابن داود. منشورات: المطبعة الحيدرية، (النجف، 1392هـ) ج١٧، ص١٣٦٠؛الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت، 748هـ/ 1347م)سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1400 هـ/ 1980م) ج١٧، ص ٢٨٥؛ ميزان الاعتدال تحقيق علي معوض وعادل الموجود – طبع دار الكتب العلمية (بيروت، بلا) ج6، ص ١١٨؛ اليافعي عبدالله بن أسعد بن علي (ت: 768ه/1366مـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، 1970)ج ٣، ص١٥؛ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل ابن كثير (ت، 774هـ/1372م)البداية والنهاية، تحقيق الشيخ مصطفى العدوي، دار الجبل (بيروت، 1988م)ج ١٢، ص ٣؛ التفريشي، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني (1044 هـ/1634م) نقد الرجال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (طهران، 1418 هـ)ج٤، ص ١٨٨؛ الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، أبو الفلاح(ت، 1089 هـ/1678م)شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، : عبد القادر الأرناءوط - محمود الأرناءوط، الناشر: دار ابن كثير، (دمشق، 1406 هـ / 1986م)ج ٣، ص ١٨٢؛ الاصبهاني، عبد الله افندي (ت، 1130هـ/1717م)رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق، احمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (قم.بلا)ج ٥، ص ٧٩؛ زيدان، جورجي (ت، 1332هـ/ 1914م)، تاريخ آداب اللغة. طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: الدكتور شوقي ضيف الناشر: دار الهلال، (مصر، بلا) ج١، ص٥٦٧ ؛محسن الأمين العاملي. (ت، 1371هـ/ 1951 م)أعيان الشيعة. تحقيق السيد حسن الأمين، مطبعة دار التعارف: الطبعة الخامسة: (بيروت، 1418هـ.) ج9، ص216 ؛ لمامقاني الشيخ عبد الله (1351ه/1932)تنقيح المقال في علم الرجال، المطبعة المرتضوية، (النجف الأشرف، 1352هـ.)ج ٣، ص5؛القمّي، عباس(ت، 1359ه/1940م)، الكنى والالقاب، مطبعة العرفان، (صيدا، لبنان/ 1358 ه) ج٢، ص ٢٦٦؛ الصدر، السيد حسن(ت، 1354هـ/ 1935م).، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، (بغداد، د.ت) ص٢١٣؛ الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، (بيروت، 2002م) ج٦ ص٩٩.

(2) الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين، (ت، ٤٣٦ ه/ 1044م) الإنتصار، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين(بقم المشرفة، ١٤١٥ هـ.(صـ9

2. كنيته وألقابه

يعرف بالسيد المرتضى والشريف المرتضى وعلم الهدى وذي المجدين ويكنى بأبي القاسم. [1].

3. ولادته

ولد في بغداد سنة (355 هـ/965م) في دار أبيه بمحلة باب المحول قي الجانب الغربي من بغداد " الكرخ " الواقعة بين نهر الصراة غرباً، ونهر كرخايا شرقا ومحلة الكرخ جنوبا[2]، في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع لله العباسي، من اسرة عريقة النسب سامية الشرف تتمتع بمنزلة اجتماعية وأدبية عالية[3].

4. أسرته

ينتمي الشريف المرتضى الى عائلة جليلة القدر اذ كان أبوه عالماً وزعيم الطالبيين ونقيبهم[4] وكان ابوه سيدا عظيما مطاعا جليل القدر، مسموع الراي رمزا للخير وكان هيبته كما يقول ابن تغري بردي (اشد من هيبة الخلفاء)[5].

وكان معظما لدى دار الخلافة البويهية لأنه كان سفيرا للخير بينها وبين دار الخلافة العباسية حتى لقبه بهاء الدولة البويهية (ت، 393هـ/ 1002م) بالطاهر الأوحد ذي المناقب[6] لجمعه مناقب شتى ومزايا رفيعة جمة، فهو فضلا عن كونه علوي النسب، هاشمي الأرومة انحدر من تلك السلسلة الطاهرة فإنه كان نقيب الطالبيين وعالمهم وزعيمهم، جمع إلى رياسة الدين زعامة الدنيا لعلو همته وسماحة نفسه، وعظيم هيبته وجليل بركته. وإلى ذلك أشار ابن مهنا في "عمدة الطالب" بنقله عن الشيخ أبي الحسن العمري النسابة "أن الشريف أبا أحمد أجل من وضع على رأسه الطيلسان وجر خلفه رمحا (أراد: أجل من جمع بينهما) وكان قوي المنة شديد العصبة، يتلاعب بالدول، ويتجرأ على الأمور"[7]. وأمه فاطمة بنت الحسن (أو الحسين) بن أحمد بن الحسن بن علي بن عمر الاشرف بن علي بن الحسين بن علي بن عمر الاشرف ين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام(المتوفى سنة 385هـ/995م)[8].

كان جده المرتضى الثاني لامه الملقب بالنصر الكبير(ت، 304هـ/ 916م) ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان[9]. أما أخوه الشريف الرضي، فيقول النجاشي: مات لخمسٍ بَقَيْنَ من شهر ربيع الأول سنة (436 هـ/1044م) وصلّى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وتولَّيتُ غسله ومعي الشريف أبو يعلي محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز[10]. قيل ونُقل جثمانه بعد ذلك من بغداد إلى كربلاء ليُدفن بالقرب من مرقد الإمام الحسين عليه السلام[11]. ويؤيد ذلك ما ذكره ابن ميثم (المتوفى 679هـ/ 1280م). إذ يقول في شرحه لنهج البلاغة: دفن السيد الرضي مع أخيه المرتضى إلى جوار جده الحسين عليه السلام[12]. ولكن القزويني يستبعد نقل

---

[1] آغا بزرك الطهراني محمد ابن محمد رضا محسن (ت، 1389هـ/ 1969م) طبقات أعلام الشيعة، (بيروت، بلا)ص 120-121.
[2] كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية (بيروت، 1405هـ/ 1985م) ص١٩٨.
[3] الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت، 460هـ/ 1050 م)، الفهرست، تصحيح: سيد محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة الرضوية، (النجف، د.ت.) ص125؛ الطوسي، رجال الطوسي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية (النجف الاشرف، 1381ه/ 1961م)ص484؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج3، ص313؛ ياقوت الحموي، ابن عبدالله الرومي (ت، 622هـ/1225م) الإرشاد (معجم الأدباء) دار إحياء التراث العربي (بيروت، بلا)، ج5، ص173.
[4] الشريف المرتضى، الانتصار، ص9.
[5] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في مصر والقاهرة، دار الكتب (القاهرة، 1357ه)ج4، ص223
[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص226-227
[7] ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت، 828هـ/ 1424م)عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب. قام بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني. منشورات المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية (النجف الاشرف، 1380هـ /1960م)ص ١٩٢.
[8] الشريف المرتضى، الانتصار، ص 11-12.
[9] أبو الحديد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي (القاهرة، 1378ه/ 1959م)ج1، ص32-33
[10] النجاشي، رجال النجاشي ص 270.
[11] الجعفري، سيد محمد مهدي، سيد رضي، (طهران، 1375 هـ). ص 31.
[12] ابن ميثم البحراني، (ت، 679 هـ/1377م) شرح نهج البلاغة، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، (قم المقدسة، 1362 هـ)ج1، ص89.

الجثمان إلى كربلاء، ويقول بأن هذا القول "على شهرته لا ينهض بقيام الدليل على نقله"[1]. وذلك بسبب تضارب الروايات التاريخية في ذلك إضافة إلى عدم وجود موضع لقبره في مدينة كربلاء، وإنما هناك مزار له في مدينة الكاظمية[2]. اما ولده فقد جاء في كتاب "**أدب المرتضى**"[3]. أنجب المرتضى ولدا كناه "أبا محمد" وكان حريصا على تربيته تربية عالية ولكنه فيما ظهر لي.(كذا يقول مؤلف الكتاب) لم يكن على شيء من العلم لأنه لم يذكر في تراجم أعلام الأمامية.

5. نشأته و دراسته

نشأ الشريف المرتضى قي ظل هذه الأسرة الدينية النبيلة ذات الوجاهة العالية والشرف الكبير فكان المرتضى وارثا للزعامة العلوية، كما تؤكد قصائد شعره المبكرة [4].

وقد حرصت أسرته على تعليمه منذ نعومة أظفاره فقد أخذته أمه إلى فقيه الأمامية محمد بن نعمان المعروف بالمفيد (ت، 413هـ/1022م) ليتعلم الفقه، ومن البعيد أنْ يكون قد درس الفقه قبل أن يتلقَ مقداراً من العلوم الأدبية والتي تُعد مقدمة للفقه. وتُراثه العلمي دليل صادق على أنّه بذل قصارى جهده منذ الصغر في طلب العلم بحيث أصبح مرجعاً في الفقه والكلام في سن السابعة والعشرين وكان يرجع إليه بعد ذلك الإمامية وغيرهم من البلاد الإسلامية المختلفة عبر الرسائل والكتب[5]. ثم يتعلم الأدب والبلاغة وهو صبي لم يتجاور الخامسة عشرة من العمر على يد عبد العزيز بن عمر أو ابن محمد المعروف بابن نباته السعدي (ت، 405هـ/ 1014م) وكان السعدي هذا كما يقول الثعالبي (من فحول شعراء العصر وآحادهم وملكوا رق المعاني)[6].

وتشير عبارات المؤرخين وتعليقاتهم ان المرتضى كان ذكيا وطموحا، مثابرا للعلم مؤثرا للمجالسة العلماء منذ حداثة سنه[7].

لقد عين والد المرتضى نقيبا للطالبين وفق مرسوم خاص صادر من الخليفة سنة 990/380م وعين المرتضى واخوه الرضي نائبين عن ابيهما[8]. وقد توثقت علاقة المرتضى بعدد من سلاطين وامراء بني بويه وفق ما تؤكد مجموعة كبيرة من قصائد ديوانه[9].

6. سماته الخلقية وصفاته الخلقية:

كان الشريف المرتضى ربع القامة نحيف الجسم أبيض اللون حسن الصورة, واشتهر بالبذل والسخاء والإغضاء من الحساد والأعداء، وقد مني بكثير من هؤلاء، وديوانه طافح بالشكوى منهم والايصاء بالتجاوز عنهم والكف عن مقارعتهم[10].

7. وفاته ومدفنه:

توفي المرتضى لخمس بقين من شهر ربيع الأول "سنة ٤٣٦ /1044م" ببغداد، وصلى عليه ابنه في داره، ودفن فيها عشية ذلك اليوم، ثم نقل بعد ذلك إلى كربلاء ودفن بجوار أجداده عند قبر أبيه وأخيه الرضي وجده إبراهيم[11].ابن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام.

---

[1] القزويني، مهدي، (ت، 1300ه/1882مـ)، كتاب المزار، دار الرافدين، (بيروت، 2005 م)، ص 252.
[2] القزويني، كتاب المزار، ص 254.
[3] عبد الرزاق محي الدين، أدب المرتضى، مطبعة المعارف (بغداد، 1957م)ص78
[4] ديوان الشريف المرتضى، تحقيق، رشيد الصفار المحامي، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، 1958م)ج1، ص279-284، ج2، ص7-12، ج3، ص31
[5] الكرجي، أبو القاسم، تاريخ فقه وفقها، (طهران، 1385 هـ.)ص 148.
[6] الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، ج2، ص380
[7] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج1، ص41؛ الخوانساري، الميرزا محمد باقر الموسوي، (ت، 1313هـ/ 1895م)روضات الجنّات في أحوال العلماء و السادات الدار الإسلامية، الطبعة: الأولى (قم، 1991)، ج4، ص295.
[8] ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص153.
[9] ديوان الشريف المرتضى، ج1، ص11، ص101
[10] الشريف المرتضى، الانتصار، ص13
[11] المصدر نفسه، ص57

المبحث الثاني: نشأته العلمية

أولا: شيوخه

لقد دَرَس هو وأخوه الشريف الرضي اللّغة والمبادئ عند ابن نباته السعدي والفقه والأصول لدى الشيخ المفيد وتتلمذ على يد أبي عبد الله المرزباني في الشعر والأدب ويروي عنه أكثر رواياته في كتاب الأمالي ويروي كذلك فيه عن أبي القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقّاق، وأبي الحسن علي بن محمد الكاتب. وله أساتذة وشيوخ آخرون في الحديث والفقه والعلوم الأخرى نذكر بعضهم: [1].

1. الحسين بن علي بن بابويه القمي، أخو الشيخ الصدوق
2. سهل بن أحمد الديباجي
3. أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمران المعروف بابن الجنيدي البغدادي
4. أبو الحسن أو (أبو الحسين) علي بن محمد الكاتب
5. أحمد بن محمد بن عمران الكاتب

ثانياً: تلامذته

لقد تتلمذ على يد السيد المرتضى عدد كبير من الطلبة منهم: [2].

1. شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
2. أبو يعلي سلار (سالار) بن عبد العزيز الديلمي.
3. أبو الصلاح تقي الدين بن نجم الحلبي.
4. القاضي أبو القاسم عبد العزيز بن البراج.
5. أبو الفتح محمد بن علي الكراجي.
6. عماد الدين ذو الفقار محمد بن معبد الحسني.
7. أبو عبد الله جعفر بن محمد الدوريستي.
8. أبو الحسن سليمان بن الحسن الصهرشتي.
9. أبو الحسن محمد بن محمد البصروي.
10. أبو عبد الله بن تبان التباني.
11. الشيخ أحمد بن حسن النيسابوري.
12. أبو الحسن الحاجب.
13. نجيب الدين أبو محمد الحسن بن محمد الموسوي.
14. القاضي عز الدين عبد العزيز بن كامل الطرابلسي.
15. القاضي أبو القاسم علي بن محسن التنوخي.
16. المفيد الثاني أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الحسين.
17. الفقيه تقي بن أبي طاهر الهادي النقيب الرازي.
18. محمد بن علي الحلواني.

[1] الشريف المرتضى، الانتصار، ص 24.
[2] المصدر نفسه، ص 47-48.

19. السيد أبو يعلي محمد بن حمزة العلوي.

20. الفقيه أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقي.

وكان ممن يحضر مجالس درسه وحلقاته العلمية أبو العلاء المعري، فقد سكن في بغداد، وعندما عاد من العراق إلى المعرة سنة (400 هـ /1009م) سألوه كيف وجدت السيد المرتضى؟ فقال

يا سائلي عنه لما جئت تسأله ألا وهو الرجل العاري من العار

لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار [1].

المبحث الثالث: مكانته العلمية

أولا: أقوال العلماء فيه

لقد أطراه كلّ من ترجم له وتعرّض لسيرته بأجمل العبارات وأجزلها، وأحكم الجمل وأفضلها، مفصحةً عن أدبه وشعره وفضائله، اخترنا منها جُملاً يسيرة، وهي:

1.الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ/ 1037م)

قال الثعالبي فيه **(ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلّى مع محتده الشريف ومفخره المنيف، بأدبٍ ظاهر، وفضل باهر، وحظٍّ من جميع المحاسن وافر، ثمّ هو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبَر، على كثرة شعرائهم المفلقين: كالحِمّاني وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم، ولو قلت: إنّه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القِدح، الممتنع عن القَدح، الذي يجمع إلى السلاسة متانةً، وإلى السهولة رصانةً، ويشتمل على معانٍ يقرب جناها، ويبعد مداها)**[2].

2. الباخرزي (ت ٤٦٧هـ/ 1074م):

اما الباخرزي فقد ذكر ان الشريف المرتضى **(له صدر الوسادة بين الأئمّة والسادة، وأنا إذا مدحته كنت كمن قال لذُكاءٍ: ما أنورك ! ولخُضَارةٍ**[3]**. ما أغزرك ! وله شعر إذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه، وعقد بالنجم نواصيه، وإذا نسب انتسب رقّة الهواء إلى نسيبه، وفاز بالقِدْحِ المعلّى في نصيبه، حتّى إذا أنشد الراوي غزليّاته بين يدي العِزهاة**[4]**، لقال له من العزّ: هات، وإذا وصف فكلامه في الأوصاف أحسنُ من الوصائف والوصّاف، وإن مدح تحيّرت فيه الأوهام بين مادحٍ وممدوحٍ، له بين المتراهنين في الحلبتين سبق سابق مَروح، وإن نثر حمدت منه الأثر، ورأيت هناك خرزات من العقد تنفضُّ، وقطرات من المزن ترفضّ، ولعمري إنّ بغداد قد أنجبت به فبوّأتهُ ظِلالها، وأرضعته زُلالها، وأنشقته شمالها، ووردَ شعره دجلَتها فشرب منها حتّى شرق، وانغمس فيها حتّى كاد يقال:غرق، فكلّما أُنشدت محاسن كلامه تنزّهت بغدادُ في نضرة نعيمها، واستنشقت من أنفاس الهجير بمراوح نسيمها)** [5].

3. ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ/ 1258م):

وقال فيه ابن ابي الحديد **(حفظ الرضي القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة في مدّةٍ يسيرةٍ، وعَرَفَ من الفقه والفرائض طرفاً قوّياً، وكان رحمهالله عالماً أديباً، وشاعراً مُفلِقاً، فصيح النظم، ضخم الألفاظ، قادراً على القريض، متصرّفاً في فنونه، إن قصد الرّقّة في النسيب أتى بالعجب العُجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يُشَقُّ فيه غباره، وإن قصد في المراثي**

---

[1] الطبرسي، أحمد بن علي(ت، 548هـ/1153م) الاحتجاج، تصحيح السيد محمد باقر الخرسان، مطابع النعمان، (النجف الاشرف، 1386 هـ/ 1966 م.)ج 2، ص 336.

[2] يتيمة الدهر، ج ٣، ص١٥٥..

[3] الخضارة: البحر. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت، : 393هـ/1002م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الرابعة (بيروت 1407 هـ / 1987)ج2، ص208«خضر».

[4] رجلٌ عِزْهَاةٌ، وعِزْهَاءَةٌ: لا يَطْرَبُ لِلَّهوِ ويَبْعُدُ عنه. الجوهري، الصحاح، ج ٦، ص ١٤٣ «عزه».

[5] الباخرزي، دمية القصر وعُصرة أهل العصر ج7، ص292

جاء سابقاً والشعراء منقطعٌ أنفاسها على أثره، وكان مع هذا مترسِّلاً ذا كتابةٍ قويّةٍ، وكان عفيفاً شريف النفس، عالي الهمّة، ملتزماً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحدٍ صلةً ولا جائزةً حتّى إنّه ردَّ صِلات أبيه، وناهيك بذلك شرفَ نفسٍ) [1].

4. أبن خلكان شمس الدين أبو العباس (ت، 681هـ/ 1282م)

اما ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان فقد ذكر **(الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه؛ كان نقيب الطالبين وكان إماماً في علم الكلام والأدب)**[2].

5. الذهبي، شمس الدين (ت،748 هـ / 1348م)

ذكر الذهبي في كتابه متطرقاً الى سيرة الشريف المرتضى **(المرتضى العلامة الشريف المرتضى، نقيب العلوية، أبو طالب علي بن حسين بن موسى، القرشي العلوي الحسيني الموسوي البغدادي، من ولد موسى الكاظم. ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مئة.وحدث عن: سهل بن أحمد الديباجي، وأبي عبد الله المرزباني، وغيرهما. قال الخطيب: كتبت عنه. قلت: هو جامع كتاب " نهج البلاغة "، المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي رضي الله عنه، ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل، وفيه حق، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن أين المصنف ؟ ! وقيل: بل جمع أخيه الشريف الرضي وديوان المرتضى كبير وتواليفه كثيرة، وكان صاحب فنون)**[3].

6. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت، 764هـ/1362م)

قال الصفدي **(الشريف المرتضى علي بن الحسين بين موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو القاسم المرتضى، علم الهدى نقيب العلويين أخو الشريف الرضي. ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مائة وتوفي سنة ست وثلاثين وأربع مائة. وكان فاضلاً ماهراً أديباً متكلماً، له مصنفات جمة على مذهب الشيعة)**[4].

5 . يوسف بن يحيى الصنعاني (ت١١٢١هـ/ 1709م)

ذكر يوسف الصنعاني حول الشريف المرتضى**(فاضل تزاحمت مناقبه، وغلبت في حلبة الفخار مناقبه، فهو يفتخر بغير الشعر كأبيه، وإنّما رقّ لعصابة الشعر ففصلها بلآلئ فكرته لكلّ نبيه، وما رضي في مواشاته بغير السبق، فأضحى رأس الصناعة ومن ينكر يُضرب على الفرق، فنظم ما هو أعبق من المنثور، وأبهى من العسجد في جيد اليعفور، معاني كمعاني الشعب طيباً، وكمنزلة الربيع من الزمان حبيباً، لا تمليها رتوت الشعر في إنشادها)**[5].

6 . السيّد محسن الأمين (١٣٧١هـ/ 1951م)

اما السيد محسن الامين فقد قال بحق الشريف المرتضى **(كان أوحد علماء عصره، وقرأ على أجلاّء الأفاضل، فكان أديباً بارعاً متميّزاً، وفقيهاً متبحّراً، ومتكلّماً حاذقاً، ومفسّراً لكتاب اللّه وحديث رسوله محلقاً، وأخفت مكانة أخيه المرتضى العلميّة شيئاً من مكانته العلميّة، كما أخفت مكانته الشعرية شيئاً من مكانة أخيه المرتضى الشعرية)**[6].

---

[1] أبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١: ٣٣.
[2] وفيات الأعيان، ج3 ص313
[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج17 ص588
[4] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت، 764هـ/ 1362م)الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناءوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت، 1420هـ/ 2000م)، ج6، ص362
[5] الصنعاني. ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني اليمني، . نسمة السحر، تحقيق: كامل سليمان الجبوري الناشر: دار المؤرخ العربي، الطبعة: الأولى (بيروت، لبنان 1999.)ج3، ص52
[6] أعيان الشيعة ج9، ص ٢١٨.

7 . الشيخ عبدا لحسين الاميني (ت ١٣٩٠هـ/1970م):

قال الشيخ الاميني فيه **(سيدنا الشريف الرضي هو مفخرة من مفاخر العترة الطاهرة، وإمام من أئمّة العلم والحديث والأدب، وبطل من أبطال الدين والعلم والمذهب، هو أوّل في كلّ ما ورثه سلفه الطاهر من علم متدفّق، ونفسيّات زاكية، وأنظار ثاقبة، وإباء وشمم، وأدب بارع، وحسب نقيٍّ، ونسب نبويٍّ، وشرف علويٍّ، ومجد فاطميٍّ، وسؤدد كاظميٍّ، إلى فضائل قد تدفّق سيلها الأتيّ، ومآثر قد ارتطمت أواذيّها الجارفة، ومهما تشدّق الكاتب فإنَّ في البيان قصوراً عن بلوغ مداه، وللتنقيب تقاعساً عن تحديد غايته، وللوصف انحساراً عن استكناه حقيقته)**[1].

ثانيا: مؤلفاته

لقد طبعت بعض مؤلفاته ضمن مجموعات أخرى في الوقت الحاضر والكثير من الرسائل في المجموعات المطبوعة[2]. وسنشير إلى بعض مؤلفاته والتعريف بها حيث بلغت 123 مؤلفا[3]. وهي:

1. **الانتصار:** كتاب في الفقه يتضمن ما انفرد به الأمامية من أحكام قطعا أو ظنا. ويشتمل على 319 مسألة فقهية وأعتبر أقدم كتاب فقهي شيعي يتعرض إلى المسائل الخلافية. كما أنّه بنى فقه الأمامية على أساس محكم وحجج قوية. وقد اتّبع الفقهاء من بعده كالشيخ الطوسي والعلامة الحلّي وغيرهم هذا الأسلوب. لقد ألف السيد المرتضى هذا الكتاب بعد سنة 420هـ[4].
2. **الناصريات:** يتضمن هذا الكتاب 207 مسألة فقهية وعقائدية وقد كتبه السيد المرتضى كشرح ونقد وتسديد فقه جده حسن الاطروش صاحب الديلم وطبرستان[5].
3. **الشافي في الإمامة:** لقد ألّف السّيد هذا الكتاب كنقد لكتاب المغني من الحجاج تأليف العالم المعتزلي المعاصر له القاضي عبد الجبار. ونقص الكتاب –كما صرّح في المقدمة– هو أنّه اقتصر على أوائل كلام صاحب المغني رعاية للاختصار وأرجع إلى أصل الكتاب في بقية العبارة حيث كان الكتاب متوفراً لدى الناس آنذاك وعندما شعر بهذا العيب حاول تداركه فيما بقي إلا أنه لم يستطع أن يفعل شيئاً بالنسبة لما مضى لأنه قد انتشر ولم يكن بالإمكان جمعه من أيدي الناس. ويعتبر كتاب الشافي أفضل طريق لمعرفة عمق الفكر الأمامي حول المذهب. وقد تطرق الكتاب إلى الفرق بين الزيدية والأمامية في الإمامة والفرق بين المعتزلة والأمامية، وتكذيب الاتهامات الموجهة ضد الشيعة في الاعتقاد بزيادة علم الإمام على النبي والاعتقاد بأنّه لولا الإمام لما قامت السماوات[6].
4. **إنقاذ البشر من الجبر والقدر:** وهي رسالة صغيرة في الكلام درس فيها السيد مسألة القضاء والقدر بأسلوب خطابي بليغ ويذكر آيات كثيرة من القرآن في مقام الاستدلال لإثبات وجهة نظره[7].
5. **تنزيه الأنبياء:** يقع هذا الكتاب في 189 صفحة وتدور مسائل الكتاب المختلفة حول النقطة المحورية وهي الخلاف بين الأمامية والمعتزلة في مسألة عصمة الأنبياء. ولقد بذل المرتضى جهوده لصرف ظواهر الآيات والأحاديث النبوية التي يستفاد منها نسبة الأخطاء والذنوب الصغيرة للأنبياء. واعتبر أئمة أهل البيت عليه السلام – وكما يقتضي مذهبه – كالأنبياء من حيث العصمة وحكم بحسن سيرتهم جميعاً[8].

---

[1] الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الأولى (بيروت، 1994)ج٤: ص، ١٨١ ـ ١٨٢.
[2] الشريف المرتضى، الانتصار، ص 48-57.
[3] الطوسي، الفهرست، ص157؛ الخوانساري، روضات الجنات، ج4، ص24؛ الزر كلي، الإعلام، ج7، ص245.
[4] الكرجي، تاريخ فقه وفقها، ص 159-160.
[5] المصدر نفسه، ص 160.
[6] المصدر نفسه، ص161-162
[7] المصدر نفسه، ص 162.
[8] الكرجي، تاريخ فقه وفقها، ص 162-163.

6. **الأصول الاعتقادية:** ألّفت هذه الرسالة الصغيرة للبحث عن صفات الله عز وجل. والنبوة، والإمامة، والبعثة، والوعد والوعيد، والشفاعة، وعذاب القبر، وفناء العالم، والميزان والصراط، والجنّة، والنّار[1].
7. **مقدمة في الأصول:** يبحث فيها السيد بإيجاز أصول عقائد الأمامية وهي التوحيد والعدل والإمامة والمعاد والوعد والوعيد ويناقش بعض آراء المعتزلة[2].
8. **العدد أو الرّد على أصحاب العدد:** يردّ السّيد في هذه الرسالة القول بأنّ الصوم يثبت بإكمال العدد (لثلاثين يوماً) ويعتبر الهلال معياراً للعمل[3].
9. **ديوان المرتضى:** تصل أشعار السيد المرتضى كما يظهر من بعض المؤرخين إلى عشرين ألف بيت، ويبدو من كتب التراجم أنّ الكثير من المؤلفين في العصور المختلفة كانوا قد حصلوا على نسخ من الديوان[4].
10. **شرح قصيدة السيد الحميري:** وهي قصيدة في مدح الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام. قي هذا الشرح تحدث السيد عن فضائل الإمام وسيرته ومواقفه. وشرح مفردات القصيدة من حيث اللّغة والأدب ونقل في الضمن بعض القضايا التاريخية والأدبية وقد كتب السيد هذا الشرح لولده[5].
11. **الغرر والدرر وآمالي المرتضى:** يصف صاحب كتاب رياض العلماء بعض نسخ هذا الكتاب وهناك عدة نسخ منه قي مكتبة الحرم الرضوي وهي تختلف عن النسخ المطبوعة في إيران ومصر في عدد المجالس وترتيب الأبواب إلى حد ما.
12. **الذريعة إلى أصول الشريعة:** يتناول الكتاب أصول فقه الشيعة الإمامية في أربعة عشر بابا ويشتمل كل باب على عدة فصول وأهم مباحثه هي: الخطاب، الأمر والنّهي والعموم والخصوص، المطلق والمقيد، المجمل والمبين، النسخ، الأخبار، الأفعال، الإجماع، القياس، الاجتهاد والتقليد، الحظر والإباحة، النافي، مستصحب الحال. يحظ الكتاب بأهمية من جهتين: الأولى هي أنّه أول كتاب كامل في أصول فقه الشيعة الأمامية. فإنّ تأليف هذا الكتاب يعد مبدأ تاريخ استقلال علم أصول الشيعة الأمامية. والثانية: أنّ السيد ومثلما ذكر في مقدمة الكتاب قد استطاع الفصل بين مسائل أصول الفقه وأصول الدين بينما هناك خلط في الكتب التي سبقته[6].

رابعا: تضلعه في علوم عصره

إنّ المكانة العلمية للسيد المرتضى غنية عن البيان فهو دون شك من أكبر علماء الشيعة الأمامية ويظهر من مؤلفاته الكثيرة في العديد من علوم عصره كالكلام والفقه والأصول والتفسير والفلسفة الإلهية والفلك وأقسام الأدب كاللغة والنحو والمعاني والإنشاء والشعر وأمثالها فهو أستاذ ماهر بل وحيد عصره. وكان قد انصبّ أكبر جهده على الفقه والكلام والأدب وقد خدم المذهب الأمامي من خلال هذا الطريق وأدّى إلى استحكام آرائه الأصلية والفرعية. ويقوم منهجه في الأصول على الدليل العقلي ومن هنا لا يختلف مع الأشاعرة فقط وإنّما مع أهل الظاهر من الأمامية. ولم يعمل في الفقه بخبر الواحد وكان يستفيد في استنباط الأحكام من الأدلة الأصولية اللفظية والعقلية وهذا ما يميزه عن المحَدِّثين والإخباريين من الأمامية[7] إنّ السيد المرتضى فقيه الأمامية ومتكلمهم ومرجعهم بعد وفاة أستاذه الشيخ المفيد، وكتابه الشافي في الإمامة أوضح دليل على تعمّقه في علم الكلام والمناظرة في كلّ مذهب. ورسائله وكتبه في الفقه

[1] المصدر نفسه، ص 163
[2] المصدر نفسه، ، ص 168.
[3] المصدر نفسه، ص 168-169.
[4] المصدر نفسه، ، ص 170.
[5] المصدر نفسه، ص170.
[6] الكرجي، تاريخ فقه وفقها، ص 172-173.
[7] المصدر نفسه، ص 149-148.

والأصول شاهد على تسلّطه. ويأتي كتابه الأمالي في الأدب واللّغة والتفسير والتاريخ والتراجم كبرهان ناصع على سعته المعرفية في العلوم[1].

يقول تلميذه الشيخ الطوسي: **(هو متوحّد في علومٍ كثيرة، مجمَع على فضله، مقدمٌ في العلوم مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو الشعر واللّغة وغير ذلك)**[2].

ويقول النجاشي: حاز من العلوم ما لم يُدَانه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر وكان متكلماً شاعراً أديباً عظيمَ المنزلة في العلم والدين والدنيا[3].

لقد كان السيد المرتضى عماد الشيعة ونقيب الطالبيين في بغداد وأمير الحج والمظالم بعد أخيه الرضيّ وكان ذلك منصب أبيهما من قبل. وكان يدفع الرواتب لتلامذته حيث يدفع لأبي جعفر الطوسي اثني عشر ديناراً في الشهر، والقاضي ابن البراج ثمانية دنانير. ويُعدّ الشيخ المفيد أهم أساتذته ومع ذلك كان يروي عن بعض مشايخ المفيد فهو يروي كثيراً على سبيل المثال عن أبي عبد الله محمد عمر ابن المرزباني البغدادي (المتوفى 378هـ) حديث خطبة الزهراء عليه السلام والتي رواها في كتابه الشافي[4]. وكان له بيتاً كبيراً قد اتخذه مدرسة يُدرّس فيها طلاب الفقه والكلام والتفسير واللّغة والشعر والعلوم الأخرى كعلم الفلك والحساب وتجري فيها المناظرات. ولم تقتصر المدرسة هذه على الطلبة الشيعة وإنّما كانت تضم طلاب العلم من كل مذهب وفرقة[5].

المبحث الرابع: ميوله ومعتقداته وإشعاره

1. ميله الى الزهد

كان الشريف المرتضى ميالاً إلى الزهد في الدنيا راغباً عنها، ذاماً لها، داعياً إلى الاعتبار فيها، سالكاً سبيل أجداده الكرام، من جعلها مجازاً للآخرة ومزاداً لدار القرار لذا نجد ديوانه يفيض بالقصائد قي ذم الدنيا والحث على الزهد فيها والاعتبار بتقلب أحوالها، وفناء نعيمها، ثم هو يصف مقابرها، ويرثي مقبوريها، ويدعو كذلك إلى تكميل النفس وتهذيبها، وغرس مواد العزة فيها بنبذ الحرص، وترك الطمع، والتحلي بجمال العلم وخصال الخير، فمن ذلك قوله في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها: **(أفي كل يوم لي مني أستجدها وأسباب دنيا بالغرور أودها ونفس تنزى ليتها في جوانح)** [6].

2. عقيدته ومذهبه الكلامي:

كان الشريف المرتضى، يذهب في أصول عقائده مذهب سائر الشيعة الأمامية من قولهم: بتوحيد الله عز وجل، وعدله وامتناع صدور الظلم منه، وهم ينهجون بذلك منهج أغلب المعتزلة الذين يسمون أنفسهم بالعدلية أو أهل العدل، ويقولون: بنفي الصفات الإلهية الزائدة على الذات، إذ يرون أن صفاته سبحانه هي عين ذاته، ويذهبون إلى أن تحسين الشئ أو تقبيحه أمر عقلي أي يدرك بالعقل كعلمنا بحسن الصدق النفع وقبح الكذب الضار وغيرهما من الأمور البديهية، وإن كانت بعض الأحكام التكليفية كالعبادات مثلا لا يمكن استقلال العقل بالحكم فيها بالحسن أو القبح إلا عن طريق الشرع، فما ورد الشرع بحسنه أو قبحه أمر لا مجال للعقل في تحسينه أ تقبيحه، فمرتبة العقل بعد مرتبة الشرع بلا جدال[7].

---

[1] الكرجي، تاريخ فقه و فقها، ص 149-148.
[2] الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، ص 99.
[3] النجاشي، رجال النجاشي، ص 270.
[4] أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ص 120-121
[5] الشريف مرتضى، الانتصار، ص 22.
[6] الشريف المرتضى، الانتصار، ص20
[7] الشريف المرتضى، الانتصار، ص25

3. علمه باللغة وغريبها:

بغريب اللغة يدل على اطلاع واسع على لغة العرب بدراسة علومها ومعرفة لسانها في مختلف ديارها ومواطنها، وقد كان الشيخ عز الدين أحمد بن مقبل [1]. يقول: **(لو حلف إنسان أن السيد المرتضى كان أعلم بالعربية من العرب لم يكن عندي آثما، وكتابه الأمالي المعروف بـ " غرر الفوائد ودرر القلائد " يشتمل على محاسن فنون تكلم فيها في النحو واللغة والشعر والتفسير والكلام وغير ذلك، حتى أن شيخا من شيوخ الأدب بمصر قال قيه: والله إني استفدت من كتاب الغرر مسائل لم أجدها في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو)**[2].

4. أشعاره:

من شعره في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):

قومي الذين وقد دجت سبل الهدى *** تركوا طريق الدين فينا مقمرا
غلبوا على الشرف التليد وجاوزوا *** ذاك التليد تطرّفاً وتخيرا
كم فيهم من قسور متخمطٍ *** يردي إذا شاء الهزبر القسورا
متنمرٍ والحرب إن هتفت به *** أدته بسام المحيا مسفرا
و ملوّم في بذله ولطالما *** أضحى جديراً في العلا أن يشكرا
و مرفّعٍ فوق الرجال تخاله *** يوم الخطابة قد تسنّم منبرا
جمعوا الجميل إلى الجمال *** وإنّما ضمّوا إلى المرأى الممدّح مخيرا
لله درّ فوارس في خيبرٍ *** حملوا عن الإسلام يوماً منكرا
عصفوا لسلطان اليهود *** وأولجوا تلك الجوانح لوعة وتحسرا
و ستلحموا أبطالهم واستخرجوا *** الأزلام من أيديهم والميسرا
و بمرحب ألوى فتى ذو جمرة *** لا تصطلى وبسالةٍ لا تقترى
إن حزّ حزّ مطبّقاً أو قال قا *** ل مصدّقاً أو رام رام مطهّرا
فثناه مصفّر البنان كأنّما *** لطخ الحمام عليه صبغاً أصفرا
شهق العقاب بشلوه ولقد هفت *** زمناً به شمّ الذوائب والذرى
أما الرسول فقد أبان ولاءه *** لو كان ينفع جايراً أن ينذرا
أمضى مقالاً لم يقله معرّضاً *** وأشاد ذكراً لم يشده معذّرا
و ثنى إليه رقابهم وأقامه *** علماً على باب النجاة مشهّرا
و لقد شفى يوم الغدير معاشراً *** ثلجت نفوسهم وأودى معشرا
قلعت به أحقادهم فمرجّع نفساً *** ومانع أنّة أن تجهرا
يا راكباً رقصت به مهرية أشبت *** بساحته الهموم فأصحرا
عج بالغري فإنّ فيه ثاوياً *** جبلاً تطأطأ فاطمأنّ به الثرى
و اقرأ السلام عليه من كَلفٍ به *** كُشفت له حُجب الصباح فأبصرا

[1] ؛الخونساري، روضات الجنات ص ٣٨٥.
[2] الخونساري، روضات الجنات ص ٣٨٥.

و لو استطعت جعلت دار إقامتي *** تلك القبور الزهر حتى أُقبرا [1]

و قال يرثي الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه:

يا يوم عاشوركم طأطأت من بصرٍ *** بعد السمو وكم أذللت من جيد
يا يوم عاشوركم أطردت لي أملاً *** قد كان قبلك عندي غير مطرود
أنت المرنق عيشي بعد صفوته *** ومولج البيض من شيبي على السود
جز بالطفوف فكم فيهنّ من جبلٍ *** خرّ القضاء به بين الجلاميد
و كم جريحٍ بلا آس تمزّقه *** إمّا النسور وإمّا أضبع البيد
و كم سليب رماحٍ غير مستترٍ *** وكم صريع حمامٍ غير ملحود
كأنّ أوجههم بيضاً ملألأة *** كواكبٌ في عراص القفرة السود
لم يطعموا الموت إلاّ بعد أن حطموا *** بالضرب والطعن أعناق الصناديد
و لم يدع فيهم خوف الجزاء غداً *** دما لتربٍ ولا لحماً إلى سِيد
إلى أن يقول:
حمائم الأيك تبكيهم على فننٍ *** مرنّح بنسيم الريح أملود
نوحي فذاك هديرٌ منك محتسبٌ *** على حسين فتعديد كتغريد [2]

المبحث الخامس: اثر الشريف المرتضى على الحركة العلمية في بغداد

يجمع عدد من المؤرخين والأدباء والعلماء الذين عاصروا الشريف المرتضى على أن المرتضى كان من ابرز علماء عصره في الفقه والأصول وعلم الكلام والعقائد والتفسير، وانه كان أديبا مبرزا وناقد بصيرا بمعاني الشعر وفنون البلاغة ورواية ثقة للشعر وإخبار العرب[3]، ويشيد يعظهم بمنزلته العلمية فيعتبره أمام عصره في علوم الشريعة واللغة والأدب في العراق. ويقول ابن بسام الشنتريني دالا على مرجعية المرتضى في المعارف السابقة الذكر: **(وكان هذا الشريف أمام من أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق، إليه فزع علماؤها، وعنه اخذ عظماؤها، صاحب مدارسها وجماع شاردها وأنساها، من سارت إخباره وعرفت إشعاره)**[4].

ويتبعه في ذلك عبد الملك الثعالبي، فيصرح بقوله **(وقد انتهت الرياسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف، والعلم والأدب والفضل والكرم)**[5], بينما يصادق ابن خلكان على ان المرتضى **(كان مجمعاً على فضله، وانه توحد في علوم كثيرة، مثل علم الكلام والفقه وأصوله والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغيرها)**[6]. وهكذا يؤيد تفوق الشريف المرتضى في الحقول العلمية والأدبية المذكورة كلها عدد من كبار المؤرخين والمفكرين حتى من اولئك الذين خاصموه وتحاملوا عليه لاختلافهم معه في بعض المسائل العقائدية[7].

---

[1] الأميني، عبد الحسين، الغدير، ج 4، ص، 263-264.
[2] المرجع نفسه، ج 4، ص 290-291.
[3] ينظر، الباخرزي، علي بن الحسن (ت: 467 هـ/1074م)، دمية القصر، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة المعارف (بغداد، 1390هـ/1970م) ص29؛ ياقوت الحموي الإرشاد (معجم الأدباء) ج5، ص173.؛ابن الفوطي، كمال الدين (ت 723هـ / 1323م)، تلخيص مجمع الآداب في مجمع الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة الهاشمية (دمشق، 1962م)ج4، ق1، ص600؛ لسيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ/1505م)، بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، 1384هـ/ 1965م)ج2، ص162؛الخونساري، روضات الجنات، ج4، ص295.
[4] الشنتريني، علي بن بسام، (ت، 542ه/ 1147م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، 1399ه/1979م)ق4، ص465.
[5] الثعالبي، يتيمة الدهر، ج1، ص53.
[6] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص173
[7] ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج2، ص53؛ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، ص256

أما عند الشيعة الأمامية، فان المرتضى يعد من أعاظم المراجع قي الفقه والأصول كما يعد عندهم الرائد الأول في تبسيط فقه الأمامية وتوضيح أصوله ميز بينهم وبين فرق الشيعة الأخرى كالزيدية والإسماعيلية وما تفرغ منها أو انحدر منها[1]. وهذا الاعتقاد مازال مصادقا عليه لدى علمائهم ومفكريهم حتى عصرنا الحاضر[2].

يقول ابن حجر العسقلاني (أن المرتضى كان لا يؤثر على العلم شيئا وانه جعل داره للعلم وقدرها للمناظرة)[3]. وان المرتضى كان له مجلس علمي يحضره الفيلسوف أبو العلاء المعري (ت، 449هـ/ 1057م) وأمام النحو واللغة المشهور عثمان بن جني (ت، 393هـ/ 1002م)[4].

إن تلك المناظرات والمجالس العلمية قد بلورت شخصية المرتضى وزادت من عطائه العلمي وإذا أضيف إلى عطائه الفكري انه كان شغوفا باقتناء الكتب وقراءتها وانه كما يقول صديقه القاضي التنوخي ويمتلك مكتبة ضخمة نضم ثمانين إلف مجلد في مختلف العلوم والفنون[5].

لقد كان اهتمام المرتضى وتأثيره العلمي على الحياة العلمية والفكرية في العراق انه كان يتعهد لطلابه وملازمي مدرسته ومجلسه العلمي بمكافأة مالية جيدة، بل انه كان يتعهد لبعضهم بما يكفي من المئونة لمعيشتهم وانه أوقف قريته الزراعية ومن أملاكه على قراطيس الفقهاء كما فتح مكتبته الخاصة لكافة طلابه مما ساعد على زيادة الاهتمام العلمي والثقافي في العراق[6].

ان جعل المرتضى من داره مجلسا للمناظرة ومدرسة خاصة عائدة له يصرف عليها من ماله الخاص مما شجع الطلاب المعوزين إلى الانضمام إلى مدرسته وحضور درسه، وقد ذكر المؤرخون ان عدد من الطلاب الذين تتلمذوا على يد المرتضى وحضروا في مدرسته قد نبغوا بعد ذلك في التحصيل والدرس[7]. ويمكن ان يكون للتلميذ مثل هؤلاء الطلبة وبالعدد الذي أشار إليه المؤرخون دلالات من أبرزها إن من شان ذلك ان يدفع رجلا طموحا مثل المرتضى إلى تكريس الوقت والجهد لفعالية فكرية وتحصيل مكثف وبحث علمي وثقافي متواصل، يعده لما تصدر له، ويجعل منه أستاذا قديرا متمكنا من العلوم والموضوعات التي يدرس ويباحث فيها ويتصدى لها، بنحو مواز لمقامه ومكانته الاجتماعية وسمو تطلعاته. وقد استطاع بالفعل أن يخرج تلاميذ أصبحوا فيما بعد نوابغ أو إعلام عصرهم في العراق، في الفقه والأصول والعقائد والكلام، مثل حمزة بن عبد العزيز الديلمي الملقب بسلار (ت، 448هـ/ 1056م)، والقاضي عبد العزيز بن البراج (ت، 481هـ/ 1088م) والقاضي محمد بن علي الكراجي (ت، 449هـ/ 1057م)ومحمد بن الحسن الطوسي (ت، 460هـ/ 1067م)وهو من أشهرهم واجلهم.

ولا شك ان جانبا كبيرا من تكوين الرصيد العلمي والمعرفي الوافر لهؤلاء العلماء وفي تنمية مهاراتهم وإعدادهم وتوجيههم لما كرسوا من اجله يعود لأستاذهم الشريف المرتضى، وفي ضوء ذلك ودلالاته الواضحة على مكانته العلمية والثقافية من جانب زعلى نفوذه وقوة شخصيته من جانب أخر[8].

---

(1) العسقلاني، احمد بن علي، (ت، 852ه/ 1448م)لسان الميزان، مؤسسة الاعلمي (بيروت، 1390ه/ 1971م)ج4، ص289؛ عبد الله أفندي الاصبهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء ج4، ص61.

(2) عباس القمي، الكنى والألقاب، ج2، ص480؛مصطفى جواد، مقدمة ديوان الشريف المرتضى، ج1، ص19؛عبد الرزاق محي الدين، أدب المرتضى، ص57-59

(3) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ص223

(4) محي الدين، أدب المرتضى، ص122.

(5) عبد الله أفندي الاصبهاني، رياض العلماء، ج4، ص21.

(6) الخونساري، روضات الجنات، ج4، ص.296

(7) الطوسي، الفهرست، ص؛ الخونساري، روضات الجنات، ج4، ص.299-300؛ عبد الله أفندي الاصبهاني، رياض العلماء، ج4، ص16-17

(8) محي الدين، أدب المرتضى، ص150

الخاتمة

1. أن مراحل حياة المرتضى وما مرت به هذه الشخصية من تطورات تجسد العناصر التي اشتركت في بناء شخصيته وتعكس الإبعاد التي بلغتها فظروفه العائلية ونشأته كانت حافزا للممارسة نشاطاته الفكرية المتميزة.
2. دلت مؤلفاته على تنوع خبراته واتساع معارفه وعلى تضلعه ليس في العلوم الإسلامية والعقائد فحسب بل وعلى تضلعه في الشعر والأدب أيضا
3. كان له تأثير كبير في تنشيط الحركة العلمية والفكرية في العراق وذلك من خلال مناظراته ومجالسه العلمية ومدرسته التي خرجت الكثير من العلماء والأدباء.
4. ان جانبا كبيرا من تكوين الرصيد العلمي والمعرفي الوافر لهؤلاء العلماء وفي تنمية مهاراتهم وإعدادهم وتوجيههم لما كرسوا من اجله يعود لأستاذهم الشريف المرتضى، وفي ضوء ذلك ودلالاته الواضحة على مكانته العلمية والثقافية من جانب زعلى نفوذه وقوة شخصيته من جانب أخر

المصادر والمراجع العربية

اولا: المصادر العربية

1. ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم الجزري(ت، 630هـ/1232م) الكامل في التاريخ"، دار صادر، (بيروت، 1399هـ/ 1979م).
2. ابن ابي الحديد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي (القاهرة، 1378هـ/ 1959م).
3. الاصبهاني، عبد الله افندي (ت،1130هـ/1717م) رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق، احمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (قم.بلا).
4. الباخرزي، علي بن الحسن (ت: 467 هـ/1074م)، دمية القصر، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة المعارف (بغداد، 1390هـ/ 1970م).
5. التفريشي، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني (1044 هـ/1634م) نقد الرجال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (طهران، 1418هـ).
6. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في مصر والقاهرة، دار الكتب (القاهرة، 1357هـ).
7. الثعالبي، عبد الملك، النيسابوري أبو منصور(ت، 429 هـ/ 1037م)يتيمة الدهر، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قمحية، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
8. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج (ت: 597هـ/1200م)المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (حيدر آباد، الدكن، 1357هـ/ 1938م).
9. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: 393هـ/1002م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين الطبعة: الرابعة (بيروت 1407هـ/ 1987م).
10. الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، أبو الفلاح(ت، 1089 هـ/1678م)شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناءوط، محمود الأرناءوط، الناشر: دار ابن كثير، (دمشق، 1406هـ/ 1986م).
11. أبن خَلِّكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت،681 هـ/1283م)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق، احسان عباس، دار صادر، (بيروت: 1972).

12. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت، 463هـ/ 1070م)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا).
13. ابن داوود الحلي (ت بعد سنة 707 هـ/1307م)رجال ابن داود. منشورات: المطبعة الحيدرية، (النجف، 1392هـ).
14. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت، 748هـ/ 1347م)سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1400هـ/ 1980م).
15. ميزان الاعتدال تحقيق علي معوض وعادل الموجود – طبع دار الكتب العلمية (بيروت، بلا).
16. لسيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ/1505م)، بغية الوعاظ في طبقات النحويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، 1384هـ/ 1965م).
17. الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين،(ت، ٤٣٦ هـ/ 1044م) الانتصار، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين(بقم المشرفة، ١٤١٥هـ).
18. الشنتريني، علي بن بسام، (ت، 542هـ/ 1147م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، 1399هـ/ 1979م).
19. ابن شهر آشوب، محمّد بن علي السروي المازندراني (588 هـ/1192م)، معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين، (النجف الأشراف، د.ت).
20. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت، 764هـ/ 1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناءوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت، 1420هـ/ 2000م).
21. الصنعاني. ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني اليمني،. نسمة السحر، تحقيق: كامل سليمان الجبوري دار المؤرخ العربي، الطبعة: الأولى (بيروت، 1999).
22. الطبرسي، أحمد بن علي(ت،548هـ/1153م) الاحتجاج، تصحيح السيد محمد باقر الخرسان، مطابع النعمان، (النجف الاشرف، 1386هـ/ 1966م).
23. الطهراني، آغا بزرك الطهراني محمد ابن محمد رضا محسن (ت، 1389هـ/ 1969م) طبقات أعلام الشيعة، (بيروت، بلا).
24. الطوسي،أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت،460هـ/ 1050 م)، الفهرست، تصحيح: سيد محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة الرضوية، (النجف، د.ت.).
25. الطوسي، رجال الطوسي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية (النجف الاشرف، 1381هـ/ 1961م).
26. العسقلاني، احمد بن علي، (ت، 852هـ/ 1448م) لسان الميزان، مؤسسة الاعلمي (بيروت، 1390هـ/ 1971م).
27. ابن عنبة،جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت، 828هـ/ 1424م) عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب. قام بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني. منشورات المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية (النجف الاشرف، 1380هـ/ 1960م).
28. ابن الفوطي، كمال الدين (ت 723هـ / 1323م)، تلخيص مجمع الآداب في مجمع الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة الهاشمية (دمشق، 1962م).
29. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: 646هـ/ 1248م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، (بيروت، 1424هـ).
30. ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل ابن كثير (ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق الشيخ مصطفى العدوي، دار الجبل (بيروت، 1988م).
31. الكرجي، أبو القاسم، تاريخ فقه وفقها، (طهران، 1385هـ).

32. ابن ميثم البحراني (ت، 679هـ/1377م)، شرح نهج البلاغة، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، (قم المقدسة، 1362هـ).
33. النجاشي، أبو العباس احمد بن على بن احمد الاسدي الكوفى (450هـ/ 1058م) رجال النجاشي، تحقيق: الحجة السيد موسى الشبيرى الزنجانى، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم المشرفة، بلا).
34. اليافعي عبدالله بن أسعد بن علي (ت: 768هـ/1366مـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، 1970).
35. ياقوت الحموي، ابن عبدالله الرومي (ت، 622هـ/1225م) الإرشاد (معجم الأدباء) دار إحياء التراث العربي (بيروت، بلا).

ثانيا: المراجع العربية

36. الأمين، محسن العاملي. (ت، 1371هـ/ 1951م) أعيان الشيعة. تحقيق السيد حسن الأمين، مطبعة دار التعارف: الطبعة الخامسة: (بيروت، 1418هـ).
37. الاميني، عبد الحسين (ت ١٣٩٠هـ/1970م): االغدير في الكتاب والسنة والأدب، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الأولى (بيروت، 1994).
38. الجعفري، سيد محمد مهدي، سيد رضي، (طهران، 1375 هـ).
39. الخوانساري، الميرزا محمد باقر الموسوي، (ت، 1313هـ/ 1895م)، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات الدار الإسلامية، الطبعة: الأولى (قم،1991).
40. ديوان الشريف المرتضى، تحقيق، رشيد الصفار المحامي، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، 1958م).
41. الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، (بيروت، 2002م).
42. زيدان، جورجي (ت، 1332هـ/ 1914م)، تاريخ آداب اللغة. طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: الدكتور شوقي ضيف، دار الهلال، (مصر، بلا).
43. الصدر، السيد حسن(ت، 1354 هـ/ 1935م).،تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، (بغداد، د.ت).
44. عبد الرزاق محي الدين، أدب المرتضى، مطبعة المعارف (بغداد، 1957م).
45. القز ويني، مهدي، (ت، 1300هـ/1882مـ)، كتاب المزار، دار الرافدين، (بيروت، 2005م).
46. القمّي، عباس(ت،1359هـ/1940م)، الكنى والالقاب، مطبعة العرفان، (صيدا، لبنان/ 1358هـ).
47. كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية (بيروت، 1405هـ/ 1985م).
48. المامقاني الشيخ عبد الله (1351هـ/1932) تنقيح المقال في علم الرجال، المطبعة المرتضوية، (النجف الأشرف، 1352هـ.).